مؤسسة الهواري
للمحاماة والاستشارات القانونية

ذاكرة العدالة · مرافعات تاريخية

# دفاع سقراط

متهم في السبعين رفض أن يشتري حياته بالصمت. اقرأ دفاعه كاملًا.

سقراط · 399 ق.م

وقف سقراط أمام هيئة كبيرة من مواطني أثينا متهمًا بالكفر بآلهة المدينة وإفساد الشباب، ونقل أفلاطون دفاعه في محاورة شهيرة.

لم يقدم نفسه نادمًا، بل دافع عن حياته القائمة على السؤال والفحص. وانتهت المحاكمة بإدانته والحكم عليه بالموت. ولا يعني ذلك أن النص المنقول محضر حرفي للجلسة.

## النص الكامل لدفاع سقراط

ترجمة عربية كاملة قامت بها المؤسسة عن ترجمة بنجامين جويت الإنجليزية لمحاورة «الدفاع» لأفلاطون. والنص صياغة أفلاطون لدفاع سقراط، وليس محضرًا حرفيًا للجلسة، ويعكس عقائد أثينا وتصورات عصرها.

## الجزء الأول: دفاع سقراط

### افتتاح الدفاع

لا أدري، يا أهل أثينا، كيف كان وقع كلام متهميّ عليكم؛ أما أنا فقد كادت عباراتهم المقنعة تنسيني من أكون، إلى هذا الحد بلغ أثرها، ومع ذلك فإنهم لم ينطقوا بكلمة حق تقريبًا. وعلى كثرة

ما كذبوا، فقد أدهشتني واحدة من أكاذيبهم، أعني قولهم لكم أن تحذروا، وألا تدعوا قوة بلاغتي تخدعكم. كان ينبغي أن يخجلوا من هذا القول، لأنهم سيُفضحون حتمًا ما إن أفتح فمي ويظهر قصوري. وقد بدوا في قولهم هذا أشد الناس وقاحة، إلا إذا كانوا يقصدون بقوة البلاغة قوة الحق، فعندئذ أقر بأنني بليغ، ولكن بطريقة تختلف كثيرًا عن طريقتهم! لقد قلت إنهم لم ينطقوا بكلمة حق، أو لم ينطقوا بأكثر من كلمة؛ أما مني فستسمعون الحق كله، لا في خطبة منمقة مزينة بالألفاظ والعبارات كخطبهم. كلا، بل سأستعمل الكلمات والحجج التي ترد إلى خاطري في لحظتها، فإني واثق من أن هذا هو الصواب، ولا يليق بي في هذه السن أن أقف أمامكم، يا أهل أثينا، موقف خطيب ناشئ، فلا يتوقع أحد مني ذلك.

وأرجو منكم معروفًا واحدًا: إذا سمعتموني أدافع بالكلمات نفسها التي اعتدت استعمالها، والتي ربما سمعها أكثركم في السوق وعند موائد الصيارفة أو في أي مكان آخر، فلا تعجبوا ولا تقاطعوني. فقد تجاوزت السبعين من عمري، وهذه أول مرة أقف فيها أمام محكمة، وأنا غريب تمامًا عن أساليب هذا المكان. فأرجو أن تعاملوني كما تعاملون غريبًا حقيقيًا، تعذرونه إن تكلم بلغته وعلى طريقة بلده. ولا أظن هذا طلبًا مجحفًا. لا تهتموا بالأسلوب، حسنًا كان أم غير حسن، وفكروا فقط في عدالة قضيتي، وانتبهوا إليها؛ فليقض القاضي بالعدل، وليقل المتكلم الصدق.

## المتهمون القدامى

عليّ أولًا أن أرد على التهم القديمة وعلى متهميّ الأوائل، ثم أنتقل إلى التهم اللاحقة. فقد كان لي متهمون كثيرون منذ زمن طويل، وظلت تهمهم الباطلة قائمة سنوات عديدة، وأنا أخشاهم أكثر مما أخشى أنيتوس وأصحابه، وإن كانوا خطرين بطريقتهم. لكن أولئك أخطر بكثير؛ فقد بدأوا وأنتم أطفال، واستولوا على عقولكم بأكاذيبهم، وحدثوكم عن رجل حكيم يدعى سقراط، يتأمل ما في السماء، ويبحث فيما تحت الأرض، ويجعل أضعف الحجتين تبدو أقواهما. هؤلاء هم المتهمون الذين أرهبهم، لأنهم مروجو هذه الإشاعة، ولأن سامعيهم يميلون إلى الظن بأن من يشتغل بهذه الأبحاث لا يؤمن بالآلهة. وهم كثيرون، وتهمهم قديمة، وقد أطلقوها في أيام كنتم فيها سريعي التأثر، في

الطفولة أو ربما في الشباب، ونُظرت الدعوى في غياب خصمها، إذ لم يكن هناك من يجيب. وأشد ما في الأمر أنني لا أعرف أسماءهم ولا أستطيع ذكرها، اللهم إلا شاعرًا هزليًا. أما جمهور هؤلاء المفترين، الذين أثروا فيكم بدافع الحسد والخبث، ومنهم من اقتنع بما يقول ونقل اقتناعه إلى غيره، فمن أصعب الناس مواجهة؛ لأنني لا أستطيع إحضارهم هنا واستجوابهم، فلا مناص لي من أن أقاتل أشباحًا في دفاعي، وأن أستجوب حيث لا مجيب. فأرجو أن تفترضوا معي أن خصومي نوعان: حديث وقديم، وآمل أن تروا صواب ردي على القدامى أولًا، فقد سمعتم تهمهم قبل الأخرى بكثير، وأكثر منها مرارًا.

حسنًا، سأقدم دفاعي إذن، وسأحاول في الوقت القصير المتاح أن أزيل هذا الرأي السيئ الذي حملتموه عني زمنًا طويلًا. وأرجو أن أنجح، إن كان ذلك خيرًا لكم ولي، وأن تلقى كلماتي قبولًا عندكم. لكنني أعلم أن ذلك ليس هينًا، وأدرك طبيعة المهمة تمامًا. فليكن ما يشاء الإله؛ وأنا أقدم دفاعي طاعة للقانون.

سأبدأ من البداية، وأسأل: ما الاتهام الذي نشأ عنه هذا الافتراء عليّ، وشجع ميليتوس على مقاضاتي؟ ماذا يقول المفترون؟ لأجعلنهم مدعين، ولألخص كلامهم في صحيفة اتهام: «سقراط فاعل شر، فضولي، يبحث فيما تحت الأرض وفي السماء، ويجعل أضعف الحجتين تبدو أقواهما، ويعلم غيره هذه المذاهب». هذه طبيعة الاتهام، وهذا ما رأيتموه بأنفسكم في ملهاة أريستوفان، حيث قدم رجلًا يسميه سقراط، يدور قائلًا إنه يمشي في الهواء، ويتفوه بكثير من الهراء في أمور لا أدعي أنني أعرف عنها قليلًا أو كثيرًا. ولا أعني بذلك الانتقاص ممن يدرس فلسفة الطبيعة، وسيؤسفني أن يتهمني ميليتوس بذلك. لكن الحقيقة البسيطة، يا أهل أثينا، أنه لا شأن لي بهذه الدراسات. وكثيرون من الحاضرين شهود على صدق هذا، وإليهم أحتكم. تكلموا إذن يا من سمعتموني، وأخبروا جيرانكم: هل عرف أحد منكم أنني تحدثت في أمور كهذه بكلام قليل أو كثير؟ ... ها أنتم تسمعون جوابهم. ومما يقولونه في هذا ستستطيعون الحكم على صدق الباقي.

ولا أساس كذلك لما يقال من أنني معلم أتقاضى مالًا، فليس هذا بأصدق من ذاك. وإن كنت أحترم من يتقاضى أجرًا إذا كان قادرًا على التعليم. فها هو غورجياس من ليونتيوم، وبروديكوس من كيوس، وهيبياس من إيليس، يطوفون بالمدن، ويستطيعون إقناع الشبان بترك مواطنيهم، الذين كان يمكنهم أن يتعلموا منهم بلا مقابل، والمجيء إليهم، فلا يدفعون لهم فحسب، بل يشكرونهم على قبول المال. بل هناك فيلسوف من باروس مقيم في أثينا، وقد سمعت به على هذا النحو: لقيت رجلًا أنفق على السفسطائيين مالًا طائلًا، هو كالياس بن هيبونيكوس، ولما كنت أعرف أن له ابنين سألته: «يا كالياس، لو كان ابناك مهرين أو عجلين، لما صعب علينا أن نجد من يتولى أمرهما؛ كنا سنستأجر مدرب خيل أو مزارعًا يحسن فضيلتهما الخاصة ويكملها. أما وهما إنسانان، فمن تفكر في أن تضعه عليهما؟ هل هناك من يفهم الفضيلة الإنسانية والسياسية؟ لا بد أنك فكرت في هذا ولك ابنان؛ أهناك أحد؟» قال: «نعم». قلت: «من هو؟ ومن أي بلد؟ وكم يتقاضى؟» فأجاب: «إيفينوس الباري، هو الرجل، وأجره خمس مينات». فقلت في نفسي: طوبى لإيفينوس إن كانت له هذه الحكمة حقًا، ويعلمها بأجر متواضع كهذا. ولو كانت لي لتملكني الفخر والغرور؛ لكن الحقيقة أنه لا علم لي بشيء من ذلك.

## نبوءة دلفي

أجرؤ على القول، يا أهل أثينا، إن بعضكم سيرد: «ما السبب يا سقراط، وما أصل هذه التهم الموجهة إليك؟ لا بد أنك كنت تفعل شيئًا غريبًا، فلو كنت كسائر الناس ما نشأت حولك كل هذه الشهرة وكل هذا الكلام. فأخبرنا إذن، فإنا نكره أن نحكم عليك متعجلين». وأعد هذا تحديًا منصفًا، وسأحاول أن أشرح لكم أصل لقب «الحكيم» وهذه السمعة السيئة. فأرجو أن تنتبهوا. وقد يظن بعضكم أنني أمزح، لكنني أؤكد أنني سأقول لكم الحق كله. يا أهل أثينا، لقد نشأت سمعتي هذه من نوع من الحكمة أملكه. فإن سألتم أي نوع هي، قلت: الحكمة التي يبلغها الإنسان، فإلى هذا الحد أميل إلى الاعتقاد بأنني حكيم؛ أما الذين كنت أتحدث عنهم فلهم حكمة فوق طاقة البشر، قد أعجز عن وصفها لأنني لا أملكها، ومن قال إنني أملكها فهو كاذب يشوه سمعتي. وهنا، يا أهل أثينا، أرجو ألا تقاطعوني، ولو بدا لكم أنني أقول قولًا مبالغًا فيه، فالكلمة التي سأقولها ليست لي.

سأحيلكم إلى شاهد جدير بالثقة، سيخبركم عن حكمتي، أهي موجودة، ومن أي نوع، وهذا الشاهد هو إله دلفي. لا بد أنكم عرفتم خايريفون؛ كان صديقي منذ الصبا، وصديقكم أيضًا، فقد شارك الشعب منفاه وعاد معكم. وكان خايريفون، كما تعلمون، شديد الاندفاع في كل ما يفعل، فذهب إلى دلفي وسأل الكاهنة بجرأة، وأكرر رجائي ألا تقاطعوني، سألها: هل هناك من هو أحكم مني؟ فأجابت الكاهنة البيثية بأنه لا يوجد من هو أحكم. وقد مات خايريفون، لكن أخاه، الحاضر في المحكمة، سيؤكد لكم صدق هذه القصة.

لماذا أذكر هذا؟ لأنني سأشرح لكم سبب هذه السمعة السيئة. حين سمعت الجواب قلت في نفسي: ماذا يعني الإله؟ وما تفسير هذا اللغز؟ فأنا أعلم أنني لا أملك حكمة، صغيرة ولا كبيرة. فماذا يعني بقوله إنني أحكم الناس؟ ومع ذلك فهو إله، لا يكذب، فذلك يخالف طبيعته. وبعد تفكير طويل اهتديت إلى طريقة لاختبار المسألة. قلت: لو وجدت رجلًا أحكم مني لذهبت إلى الإله وفي يدي ما يدحض قوله، وقلت له: «هذا رجل أحكم مني، وقد قلت إنني أحكم الناس». فذهبت إلى رجل مشهور بالحكمة، ولا حاجة إلى ذكر اسمه، كان من رجال السياسة الذين اخترتهم للفحص، فكانت النتيجة هذه: حين بدأت أحادثه لم أملك إلا أن أرى أنه ليس حكيمًا حقًا، وإن ظنه كثيرون حكيمًا، وظن نفسه أحكم. فحاولت أن أوضح له أنه يظن نفسه حكيمًا وليس كذلك، فكانت العاقبة أنه كرهني، وشاركه عداوته عدد ممن حضروا وسمعوني. فتركته وأنا أقول لنفسي: مع أنني لا أظن أن أحدنا يعرف شيئًا جميلًا وخيرًا حقًا، فأنا أفضل حالًا منه؛ فهو لا يعرف ويظن أنه يعرف، وأنا لا أعرف ولا أظن أنني أعرف. ففي هذا الأمر الأخير يبدو أن لي عليه فضلًا يسيرًا. ثم ذهبت إلى آخر له دعاوى فلسفية أكبر، فخرجت بالنتيجة نفسها، وصار لي منه ومن كثيرين غيره عدو جديد.

بعد ذلك مضيت من رجل إلى رجل، غير غافل عن العداوة التي أثيرها، وكنت آسى لذلك وأخشاه، لكن الضرورة كانت مفروضة عليّ، ورأيت أن كلمة الإله يجب أن تقدم على كل شيء. وقلت لنفسي: لا بد أن أذهب إلى كل من يبدو أنه يعرف، لأكتشف معنى النبوءة. وأقسم لكم، يا أهل أثينا، بالكلب أقسم، فلا بد أن أقول لكم الحق، إن نتيجة مهمتي كانت هذه: وجدت أن أشهر الناس يكادون يكونون أشدهم حماقة، وأن بعض من هم أقل شأنًا كانوا في الحقيقة أحكم وأفضل. وسأروي

لكم قصة تجوالي وما يمكن أن أسميه أعمالي الهرقلية، التي تحملتها لأجد في النهاية أن النبوءة لا تدحض. فبعد السياسيين ذهبت إلى الشعراء، شعراء المآشي والأناشيد وسائر الأنواع. وقلت لنفسي: هناك ستنكشف، وستعلم أنك أجهل منهم. فأخذت إليهم أكثر مقاطع كتاباتهم إتقانًا، وسألتهم عن معناها، ظانًا أنهم سيعلمونني شيئًا. أتصدقونني؟ إنني لأخجل من ذكر هذا، لكن لا بد أن أقول إنه يكاد لا يوجد بين الحاضرين من لا يستطيع الحديث عن شعرهم أفضل مما تحدثوا عنه هم أنفسهم. فتبين لي في الحال أن الشعراء لا يكتبون الشعر عن حكمة، بل عن موهبة وإلهام؛ فهم كالعرافين والمتنبئين الذين يقولون أشياء جميلة كثيرة ولا يفهمون معناها. وبدا لي أن حال الشعراء كذلك، ولاحظت أيضًا أنهم بفضل شعرهم يعتقدون أنهم أحكم الناس في أمور أخرى ليسوا فيها حكماء. فانصرفت عنهم وأنا أرى أنني أفضلهم للسبب نفسه الذي فضلت به السياسيين.

وأخيرًا ذهبت إلى الصناع، إذ كنت أعلم أنني لا أعرف شيئًا تقريبًا، وكنت واثقًا من أنهم يعرفون أشياء جميلة كثيرة. ولم أخطئ في ذلك، فقد كانوا يعرفون أشياء أجهلها، وكانوا في هذا أحكم مني بلا ريب. لكنني لاحظت أن الصناع الجيدين وقعوا في خطأ الشعراء نفسه؛ فلأنهم عمال مهرة ظنوا أنهم يعرفون كذلك أرفع الأمور، وقد غطى هذا العيب على حكمتهم. فسألت نفسي نيابة عن النبوءة: أأفضل أن أبقى كما أنا، بلا علمهم وبلا جهلهم، أم أكون مثلهم في الأمرين؟ فأجبت نفسي والنبوءة بأنني أفضل حالًا كما أنا.

وقد جر عليّ هذا البحث أعداء كثيرين من أسوأ الأنواع وأخطرها، وأتاح كثيرًا من الافتراءات، وصرت أدعى حكيمًا، لأن سامعيّ يتوهمون دائمًا أنني أملك الحكمة التي أكشف نقصها في غيري. لكن الحقيقة، يا أهل أثينا، أن الإله وحده هو الحكيم، وأنه يريد بهذه النبوءة أن يقول إن حكمة البشر قليلة أو لا شيء. فهو لا يتحدث عن سقراط، وإنما يستعمل اسمي مثالًا، كأنه يقول: أحكمكم أيها الناس من أدرك، مثل سقراط، أن حكمته في الحقيقة لا تساوي شيئًا. ولهذا أمضي في طريقي مطيعًا للإله، وأفحص حكمة كل من يبدو حكيمًا، مواطنًا كان أو غريبًا، فإن لم يكن حكيمًا بينت له ذلك انتصارًا للنبوءة. وقد استغرقني هذا العمل، فلم يبق لي وقت لشأن عام أو شأن خاص، وأنا في فقر مدقع بسبب إخلاصي للإله.

وهناك أمر آخر: الشبان من أبناء الأغنياء، الذين لا يشغلهم كثير عمل، يأتونني من تلقاء أنفسهم، ويحبون سماع فحص المدعين، وكثيرًا ما يقلدونني ويفحصون غيرهم. وسرعان ما يكتشفون أن كثيرين يظنون أنهم يعرفون شيئًا وهم لا يعرفون إلا قليلًا أو لا شيء. فيغضب من يفحصونهم عليّ لا على أنفسهم، ويقولون: سقراط اللعين هذا، مضلل الشباب الخبيث! فإذا سألهم أحد: ما الشر الذي يفعله أو يعلمه؟ لم يعرفوا ولم يستطيعوا الجواب. ولكي لا يبدوا حائرين يرددون التهم الجاهزة التي توجه إلى جميع الفلاسفة، عن تعليم ما في السحاب وما تحت الأرض، وإنكار الآلهة، وجعل أضعف الحجتين تبدو أقواهما؛ فهم يكرهون الاعتراف بأن ادعاءهم المعرفة قد انكشف، وتلك هي الحقيقة. ولأنهم كثيرون طموحون نشيطون، مصطفون كالمقاتلين، ذوو ألسنة مقنعة، فقد ملأوا آذانكم بافتراءاتهم العالية المتأصلة. ولهذا هاجمني متهميّ الثلاثة: ميليتوس وأنيتوس وليكون؛ ميليتوس غضبًا للشعراء، وأنيتوس للصناع، وليكون للخطباء. وكما قلت في البداية، لا أتوقع أن أتخلص من هذا الركام من الافتراء في لحظة. هذه، يا أهل أثينا، هي الحقيقة، والحقيقة كلها؛ لم أخف شيئًا ولم أموه شيئًا. ومع ذلك أعلم أن صراحتي هذه تجعلهم يكرهونني، وما كراهيتهم إلا دليل على أنني أقول الحق. هذا هو سبب افترائهم عليّ ومبعثه، كما ستجدون في هذا البحث أو في أي بحث مقبل.

## استجواب ميليتوس

قلت ما يكفي في الدفاع ضد الفريق الأول من متهميّ. وأنتقل إلى الفريق الثاني، وعلى رأسه ميليتوس، ذلك الرجل الفاضل المحب لوطنه كما يسمي نفسه. وسأحاول الآن الدفاع عن نفسي ضدهم، ولا بد أن تتلى صحيفة هؤلاء المتهمين الجدد أيضًا. ماذا يقولون؟ شيئًا كهذا: إن سقراط فاعل شر، مفسد للشباب، لا يؤمن بآلهة الدولة، وله معبودات جديدة خاصة به. هذا هو نوع التهمة، فلنفحص بنودها واحدًا واحدًا. يقول إنني فاعل شر أفسد الشباب؛ وأقول أنا، يا أهل أثينا، إن ميليتوس هو فاعل الشر، وشره أنه يهزل في أمر جاد، ويسارع إلى جر الناس إلى المحاكم مدعيًا الغيرة والاهتمام بأمور لم يهتم بها قط أدنى اهتمام. وسأحاول إثبات ذلك.

تعال يا ميليتوس، ودعني أسألك: أنت تهتم كثيرًا بتحسين الشباب؟

— نعم.

— أخبر القضاة إذن من الذي يحسنهم؛ فلا بد أنك تعرف، ما دمت قد تكلفت البحث عن مفسدهم، وأنت تتهمني أمامهم. تكلم وأخبر القضاة من مصلحهم. لاحظ يا ميليتوس أنك صامت لا تجد ما تقول. أليس في هذا عار، ودليل كبير على ما كنت أقول من أنك لا تهتم بالأمر؟ تكلم يا صديقي وأخبرنا من مصلحهم.

— القوانين.

— ليس هذا مقصدي يا سيدي الكريم. أريد أن أعرف من هو الشخص الذي يعرف القوانين أولًا.

— القضاة يا سقراط، الحاضرون في المحكمة.

— ماذا تعني يا ميليتوس؟ أهم قادرون على تعليم الشباب وتحسينهم؟

— بالتأكيد.

— كلهم، أم بعضهم دون بعض؟

— كلهم.

— بالإلهة هيرا، هذا خبر سار! فالمصلحون كثيرون إذن. وماذا عن الحضور، أيحسنونهم؟

— نعم.

— والشيوخ؟

— نعم، الشيوخ يحسنونهم.

— لكن ربما يفسدهم أعضاء جمعية المواطنين؟ أم يحسنونهم هم أيضًا؟

— يحسنونهم.

— فكل أثيني إذن يحسنهم ويرفعهم، إلا أنا، وأنا وحدي مفسدهم؟ أهذا ما تؤكده؟

— هذا ما أؤكده بقوة.

— ما أتعسني إن صح هذا. ولكن دعني أسألك: أيصح هذا في الخيل؟ أيضرها رجل واحد وينفعها العالم كله؟ أليس العكس هو الصحيح؟ رجل واحد أو قلة قليلة تقدر على نفعها، أعني مدرب الخيل، أما غيره ممن يتعامل معها فيضرها؟ أليس هذا صحيحًا يا ميليتوس في الخيل وغيرها من الحيوان؟ بلى بالتأكيد، سواء قلت أنت وأنيتوس نعم أو لا. ما أسعد حال الشباب لو لم يكن لهم إلا مفسد واحد، وكان باقي العالم مصلحين لهم! لقد أثبت بما يكفي يا ميليتوس أنك لم تفكر في الشباب قط، ويظهر إهمالك في عدم اهتمامك بالأمور التي تتحدث عنها صحيفة اتهامك نفسها.

والآن يا ميليتوس لا بد أن أسألك سؤالًا آخر: أيهما أفضل، العيش بين مواطنين أشرار أم صالحين؟ أجب يا صديقي، فهذا سؤال سهل. ألا ينفع الصالحون جيرانهم، ويضرهم الأشرار؟

— بالتأكيد.

— وهل يوجد من يفضل أن يضره من يعيشون معه على أن ينفعوه؟ أجب يا صديقي الطيب، فالقانون يلزمك بالإجابة: هل يحب أحد أن يضار؟

— بالتأكيد لا.

— وحين تتهمني بإفساد الشباب، أتزعم أنني أفسدهم عمدًا أم عن غير عمد؟

— عمدًا.

— لكنك أقررت لتوك بأن الصالحين ينفعون جيرانهم، والأشرار يضرونهم. أفهذه حقيقة أدركتها حكمتك الفائقة في مقتبل العمر، وأنا في سني هذه في ظلام وجهل حتى لا أعلم أنني إذا أفسدت رجلًا أعيش معه فمن المرجح أن يضرني، ثم أفسده مع ذلك، وعمدًا أيضًا؟ هذا ما تقوله، ولن تقنعني به أبدًا ولن تقنع أي إنسان. فإما أنني لا أفسدهم، وإما أنني أفسدهم عن غير عمد، فأنت كاذب على الوجهين. وإن كانت جريمتي غير مقصودة، فالقانون لا يعاقب على الجرائم غير المقصودة؛ وكان

عليك أن تأخذني على انفراد وتحذرني وتنصحني، فلو نصحت لتوقفت عما أفعله دون قصد. لكنك كرهت أن تحادثني أو تعلمني، واتهمتني في هذه المحكمة، وهي مكان للعقاب لا للتعليم.

لقد بينت، يا أهل أثينا، أن ميليتوس لا يهتم بالأمر كثيرًا ولا قليلًا. ومع ذلك أود أن أعرف يا ميليتوس بأي شيء يقال إنني أفسد الشباب. أفهم من صحيفتك أنني أعلمهم ألا يعترفوا بالآلهة التي تعترف بها الدولة، بل بمعبودات جديدة أو قوى روحية بدلًا منها. هذه هي الدروس التي تفسد الشباب في قولك؟

— نعم، أقول ذلك بقوة.

— إذن، باسم هذه الآلهة التي نتحدث عنها يا ميليتوس، أخبرني وأخبر المحكمة بعبارة أوضح ماذا تعني! فلم أفهم بعد: أتزعم أنني أعلم الآخرين الاعتراف ببعض الآلهة، ومن ثم أؤمن بآلهة ولست ملحدًا تمامًا، وإنما هي غير آلهة المدينة؟ أم تعني أنني ملحد بإطلاق ومعلم للإلحاد؟

— أعني الأخير: أنك ملحد تمامًا.

— قول عجيب يا ميليتوس! لماذا تقول ذلك؟ أتعني أنني لا أؤمن بألوهية الشمس والقمر، وهي عقيدة الناس جميعًا؟

— أؤكد لكم أيها القضاة أنه لا يؤمن بهما، فهو يقول إن الشمس حجر والقمر تراب.

— يا صديقي ميليتوس، تظن أنك تتهم أناكساغوراس! وإن رأيك في القضاة لسيئ إذا توهمت أنهم يجهلون أن هذه الآراء موجودة في كتب أناكساغوراس الكلازوميني، وهي ملأى بها. وهذه هي العقائد التي يقال إن الشباب يتعلمونها من سقراط، مع أنها تعرض كثيرًا في المسرح بدرهم على الأكثر، ويمكنهم شراؤها رخيصة، والضحك على سقراط إن زعم أنها من بنات أفكاره. أفتظن حقًا يا ميليتوس أنني لا أؤمن بأي إله؟

— أقسم بزيوس إنك لا تؤمن بأي إله على الإطلاق.

— أنت كاذب يا ميليتوس، ولا تصدق حتى نفسك. فلا أملك، يا أهل أثينا، إلا أن أرى ميليتوس طائشًا وقحًا، كتب هذه الصحيفة بروح العبث ونزق الشباب. ألم يؤلف لغزًا ليختبرني؟ قال في نفسه: سأرى هل يكتشف سقراط الحكيم تناقضي البارع، أم أخدعه وأخدع الآخرين؟ فهو يبدو لي متناقضًا في صحيفته، كأنه يقول إن سقراط مذنب لأنه لا يؤمن بالآلهة، ومذنب لأنه يؤمن بها، وهذا لا شك ضرب من المزاح.

أود، يا أهل أثينا، أن تشاركوني فحص ما أراه تناقضًا منه؛ وأجب أنت يا ميليتوس. وأذكركم ألا تقاطعوني إذا تكلمت بطريقتي المعتادة.

هل آمن إنسان يا ميليتوس بوجود الأمور البشرية ولم يؤمن بوجود البشر؟ ... أود، يا أهل أثينا، أن يجيب، لا أن يحاول دائمًا إثارة المقاطعة. هل آمن أحد بفن الفروسية ولم يؤمن بالخيل؟ أو بعزف الناي ولم يؤمن بالعازفين؟ كلا يا صديقي؛ وسأجيب عنك وعن المحكمة، ما دمت ترفض الإجابة: لم يوجد إنسان كهذا. والآن أجب عن السؤال التالي: هل يمكن أن يؤمن إنسان بقوى روحية وإلهية ولا يؤمن بالأرواح أو أنصاف الآلهة؟

— لا يمكن.

— يسرني أنني انتزعت هذا الجواب بمساعدة المحكمة. ومع ذلك تقسم في صحيفتك أنني أعلم وأؤمن بقوى إلهية أو روحية، جديدة أو قديمة، لا يهم. فأنا على أي حال أؤمن بقوى روحية كما تقول وتقسم؛ وإذا كنت أؤمن بكائنات إلهية فلا بد أن أؤمن بالأرواح أو أنصاف الآلهة. أليس كذلك؟ بلى، فسأعد صمتك موافقة. وما الأرواح أو أنصاف الآلهة؟ أليست آلهة أو أبناء آلهة؟

— بلى.

— هذا هو اللغز البارع الذي كنت أتحدث عنه: أنصاف الآلهة آلهة، وأنت تقول أولًا إنني لا أؤمن بالآلهة، ثم تقول إنني أؤمن بها ما دمت أؤمن بأنصافها. فإذا كانوا أبناء آلهة من الحوريات أو من أمهات أخريات كما يقال، فذلك يستلزم بالضرورة، كما يقر الجميع، وجود آبائهم. وكأنك تثبت وجود البغال وتنكر وجود الخيل والحمير. مثل هذا الهراء يا ميليتوس لا يمكن أن تكون قصدت به

إلا اختباري. لقد وضعته في الصحيفة لأنك لم تجد شيئًا حقيقيًا تتهمني به. ولن يقتنع منك أحد لديه ذرة من فهم بأن الرجل نفسه يمكن أن يؤمن بالأمور الإلهية والفائقة، ولا يؤمن بوجود آلهة وأنصاف آلهة وأبطال.

## لماذا لا يخشى الموت

قلت ما يكفي ردًا على تهمة ميليتوس، ولا حاجة إلى دفاع مطول. لكن لي، كما قلت من قبل، أعداء كثيرين، وهذا ما سيهلكني إن هلكت، وأنا متيقن من ذلك؛ لن يهلكني ميليتوس ولا أنيتوس، بل حسد الناس وتجريحهم، الذي أودى بكثير من الصالحين، وسيودي على الأرجح بكثيرين غيرهم، ولا خوف أن أكون آخرهم.

سيقول قائل: ألا تخجل يا سقراط من طريقة حياة يرجح أن تنتهي بك إلى موت مبكر؟ ولي أن أجيبه بحق: أنت مخطئ. فالرجل الذي يساوي شيئًا لا ينبغي أن يحسب حساب الحياة والموت، بل ينظر فقط: أفيما يفعله صواب أم خطأ، أهو فعل رجل صالح أم فعل رجل سيئ؟ أما على رأيك فلم يكن الأبطال الذين سقطوا في طروادة ذوي قيمة كبيرة، ولا سيما ابن ثيتيس، الذي احتقر الخطر تمامًا إذا قورن بالعار. فحين قالت له أمه الإلهة، وهو متلهف لقتل هكتور، إنه إذا انتقم لصاحبه باتروكلوس وقتل هكتور فسيموت هو، و«القدر ينتظرك بعد هكتور»، احتقر الخطر والموت، وخشي أن يعيش في الهوان ولا ينتقم لصديقه بدلًا من أن يخشاهما. فأجاب: «فلأمت بعدها، وأنتقم من عدوي، خير من البقاء هنا عند السفن ذات المقدمات المعقوفة، موضع سخرية وعبئًا على الأرض». أكان أخيل يفكر في الموت والخطر؟ فحيثما كان موضع الإنسان، سواء اختاره أو وضعه فيه قائده، فعليه أن يبقى فيه ساعة الخطر، ولا يفكر في الموت أو في شيء غير العار. وهذا، يا أهل أثينا، قول حق.

وإنه لغريب حقًا مسلكي، يا أهل أثينا، لو أنني، وقد بقيت حيث أمرني القادة الذين اخترتموهم في بوتيديا وأمفيبوليس وديليون، مواجهًا الموت كأي رجل، تركت موقعي الآن خوفًا من الموت أو من غيره، بينما أمرني الإله، كما أعتقد، بأداء رسالة الفيلسوف في فحص نفسي وغيري. ذلك حقًا

سيكون غريبًا، وكنت أستحق المثول أمام المحكمة بتهمة إنكار الآلهة لو عصيت النبوءة خوفًا من الموت؛ وكنت عندئذ أظن نفسي حكيمًا ولست كذلك. فهذا الخوف من الموت ادعاء للحكمة لا حكمة حقيقية، لأنه تظاهر بمعرفة المجهول؛ إذ لا يعلم أحد هل يكون الموت، الذي يخشاه الناس باعتباره أعظم الشرور، أعظم الخيرات. أليس في هذا ادعاء للعلم، وهو ضرب مشين من الجهل؟ وفي هذا أرى أنني أفضل عامة الناس، وربما أظن نفسي أحكم منهم: فبينما لا أعرف إلا قليلًا عن العالم السفلي، لا أظن أنني أعرف. لكنني أعلم أن الظلم وعصيان من هو أفضل، إلهًا كان أو إنسانًا، شر وعار، ولن أخشى أو أتجنب خيرًا محتملًا بدلًا من شر مؤكد.

ولذلك فلو أطلقتم سراحي الآن، ورفضتم نصيحة أنيتوس، الذي قال إنه ما كان ينبغي أن أحاكم إن لم أعدم، وإنني إن أفلت فسيفسد أبناؤكم جميعًا بسماع كلامي؛ لو قلتم لي: يا سقراط، لن نلتفت هذه المرة إلى أنيتوس، وسنطلق سراحك بشرط واحد: ألا تعود إلى البحث والتأمل على هذا النحو، وأن تموت إن ضبطت تفعل ذلك مرة أخرى؛ لو كان هذا شرط إطلاقي لأجبتكم: يا أهل أثينا، إنني أجلكم وأحبكم، لكنني سأطيع الإله قبلكم، وما دام فيّ نفس وقوة فلن أكف عن ممارسة الفلسفة وتعليمها، وعن حث كل من ألقاه بطريقتي، قائلًا له: يا صديقي، أنت مواطن أثينا، المدينة العظيمة القوية الحكيمة، فلماذا تهتم كل هذا الاهتمام بجمع أكبر قدر من المال والشرف والسمعة، ولا تهتم إلا قليلًا بالحكمة والحق وأعظم إصلاح للنفس، الذي لا تلتفت إليه أبدًا؟ ألا تخجل من ذلك؟ فإذا قال من أحاوره: بلى، إنني أهتم، لم أتركه ينصرف في الحال، بل أسأله وأفحصه وأستجوبه، فإن رأيت أنه لا فضيلة له وإنما يزعمها، لمته على استخفافه بالأعظم وتعظيمه للأدنى. وسأقول هذا لكل من ألقاه، شابًا أو شيخًا، مواطنًا أو غريبًا، ولا سيما المواطنين، لأنهم إخوتي. فهذا أمر الإله، كما أريدكم أن تعلموا، وأعتقد أنه لم يقع للدولة حتى اليوم خير أعظم من خدمتي للإله. فأنا لا أفعل شيئًا سوى التجول لإقناعكم جميعًا، شيوخًا وشبانًا، بألا تشغلوا أنفسكم بأجسادكم وأموالكم، بل أن تهتموا أولًا وأساسًا بأعظم إصلاح للنفس. وأقول لكم إن الفضيلة لا يمنحها المال، بل من الفضيلة يأتي المال وكل خير للإنسان، في العام والخاص. هذا تعليمي، فإن كان هذا هو المذهب الذي يفسد الشباب فإن أثري مدمر حقًا. أما من يقول إن هذا ليس تعليمي فهو كاذب. ولذلك أقول لكم،

يا أهل أثينا: افعلوا ما يأمر به أنيتوس أو لا تفعلوه، وبرئوني أو لا تبرئوني، ولكن اعلموا أيًا كان ما تفعلون أنني لن أغير طريقي، ولو كان عليّ أن أموت مرارًا.

## ذبابة الخيل

لا تقاطعوني يا أهل أثينا، بل اسمعوا؛ فقد اتفقنا على أن تسمعوني حتى النهاية. وأعتقد أن ما سأقوله سينفعكم، فلدي ما قد تصيحون عند سماعه، لكنني أرجو ألا تفعلوا. أريدكم أن تعلموا أنكم إن قتلتم رجلًا مثلي فستضرون أنفسكم أكثر مما تضرونني. لن يضرني ميليتوس وأنيتوس، فهما لا يستطيعان، إذ ليس من طبيعة الأشياء أن يضر الشرير من هو أفضل منه. لا أنكر أنه قد يقتله أو ينفيه أو يحرمه حقوقه المدنية، وقد يظن هو ويظن غيره أنه يلحق به أذى عظيمًا، لكنني لا أوافقه؛ فشر ما يفعله أنيتوس، أي إزهاق حياة إنسان ظلمًا، أعظم بكثير. والآن، يا أهل أثينا، لا أجادل من أجل نفسي كما قد تظنون، بل من أجلكم، حتى لا تخطئوا في حق الإله، أو تستخفوا بهبته بإدانتي. فإن قتلتموني فلن تجدوا بسهولة مثلي، وأنا، إن جاز لي هذا التشبيه المضحك، أشبه بذبابة خيل أعطاها الإله للدولة، والدولة كجواد عظيم أصيل، بطيء الحركة لضخامته، يحتاج إلى من يوقظه. أنا تلك الذبابة التي وهبها الإله للدولة، أظل طوال النهار وفي كل مكان متعلقًا بكم، أوقظكم وأقنعكم وألومكم. ولما كنتم لن تجدوا مثلي بسهولة، فأنصحكم بأن تبقوا عليّ. وقد تضيقون ذرعًا كمن يوقظ فجأة وهو غاف، وتظنون أنكم إن ضربتموني ضربة قاتلة، كما ينصح أنيتوس، وذلك سهل عليكم، فستنامون بقية حياتكم، إلا إذا أرسل إليكم الإله برعايته ذبابة أخرى. والدليل على أن الإله وهبني لكم أنني لو كنت كسائر الناس لما أهملت كل شؤوني، وصبرت على إهمالها كل هذه السنين، واشتغلت بشؤونكم، آتيًا إلى كل منكم كأب أو أخ أكبر، أحثه على الفضيلة؛ فليس هذا من طبع البشر. ولو كنت قد كسبت شيئًا، أو تقاضيت أجرًا على نصحي، لكان لذلك معنى. لكنكم ترون أن وقاحة متهميّ نفسها لم تجرؤ على القول إنني طلبت أو تقاضيت أجرًا من أحد، وليس لهم شاهد على ذلك. ولي شاهد على صدق قولي: فقري شاهد كاف.

## لماذا ابتعد عن السياسة

قد يعجب بعضكم من أنني أتجول في الخفاء ناصحًا ومشتغلًا بشؤون غيري، ولا أجرؤ على التقدم علنًا لأنصح الدولة. وسأخبركم بالسبب. لقد سمعتموني مرارًا أتحدث عن هاتف أو علامة تأتيني، وهي المعبود الذي يسخر منه ميليتوس في صحيفته. وقد لازمتني هذه العلامة منذ طفولتي، وهي صوت يأتيني فينهاني دائمًا عن شيء أهم بفعله، ولا يأمرني بشيء أبدًا. وهذا ما يقف دون اشتغالي بالسياسة، وأراه على حق. فأنا واثق، يا أهل أثينا، من أنني لو اشتغلت بالسياسة لهلكت منذ زمن طويل، ولم أنفعكم ولا نفعت نفسي. ولا تغضبوا إن قلت لكم الحق: فلن ينجو بحياته من يحارب جمهوركم أو أي جمهور آخر، ويقاوم بإخلاص وقوع الظلم والجور في الدولة. ومن أراد حقًا أن يقاتل من أجل الحق، وأراد أن يعيش ولو قليلًا، فعليه أن يكون في موقع خاص لا عام.

ويمكنني أن أقدم لكم أدلة على ذلك، لا بالأقوال فقط، بل بالأفعال التي تقدرونها أكثر. دعوني أروي لكم صفحة من حياتي تثبت أنني ما كنت لأخضع للظلم خوفًا من الموت، وأنني لو لم أخضع لهلكت في الحال. وهي قصة قد تكون بلا طعم ومألوفة، لكنها حقيقية. إن المنصب الوحيد الذي توليته في الدولة، يا أهل أثينا، هو عضوية مجلس الشيوخ. وكانت قبيلتي، أنتيوخيس، تتولى الرئاسة عند محاكمة القادة الذين لم يرفعوا جثث القتلى بعد معركة أرغينوساي. وأردتم محاكمتهم جميعًا معًا، وهو أمر غير قانوني كما رأيتم كلكم فيما بعد. لكنني كنت حينئذ الوحيد بين أعضاء الرئاسة الذي عارض هذه المخالفة، وصوتّ ضدكم. وحين هدد الخطباء باتهامي والقبض عليّ وأخذي، وعلا صياحكم، قررت أن أخاطر، والقانون والعدل معي، بدلًا من أن أشارك في ظلمكم خوفًا من السجن والموت. وقد حدث هذا في أيام الديمقراطية. فلما تولى حكم الأقلية من الثلاثين السلطة، استدعوني أنا وأربعة آخرين إلى القاعة المستديرة، وأمرونا بإحضار ليون السلاميني من سلاميس ليعدموه. وكان ذلك نموذجًا للأوامر التي كانوا يصدرونها دائمًا ليورطوا في جرائمهم أكبر عدد ممكن. وعندها أثبت، لا بالقول بل بالفعل، أنني، إن جاز التعبير، لا أبالي بالموت قيد شعرة، وأن خوفي الوحيد هو أن أفعل ظلمًا أو إثمًا. فلم تخفني ذراع تلك السلطة الجائرة القوية حتى أرتكب الخطأ. وحين خرجنا من القاعة ذهب الأربعة إلى سلاميس وأحضروا ليون، أما أنا فعدت

إلى بيتي بهدوء. وكان يمكن أن أفقد حياتي بسبب ذلك، لولا أن سلطة الثلاثين انتهت بعد قليل. ويشهد على هذا كثيرون.

أفتظنون حقًا أنني كنت سأبقى حيًا كل هذه السنين لو عشت حياة عامة، وناصرت الحق دائمًا كرجل صالح، وجعلت العدل في المقام الأول كما ينبغي؟ كلا يا أهل أثينا، لا أنا ولا غيري. لكنني كنت دائمًا كما أنا في جميع أفعالي، العامة والخاصة، ولم أخضع خضوعًا دنيئًا قط لمن يسمون افتراءً تلاميذي ولا لغيرهم. والحقيقة أنه ليس لي تلاميذ منتظمون؛ لكن من أحب أن يأتي ويسمعني وأنا أؤدي رسالتي، شابًا أو شيخًا، فله أن يأتي بحرية. ولا أحادث من يدفع دون من لا يدفع، بل لكل أحد، غنيًا أو فقيرًا، أن يسألني ويجيبني ويسمع كلامي. وسواء صار بعد ذلك شريرًا أو صالحًا، فلا يصح أن يلقى ذلك عليّ، لأنني لم أعلمه شيئًا. ومن قال إنه تعلم أو سمع مني على انفراد شيئًا لم يسمعه الناس جميعًا، فاعلموا أنه كاذب.

لكن سيقال لي: لماذا يبتهج الناس بمحادثتك دائمًا؟ لقد أخبرتكم، يا أهل أثينا، بالحقيقة كلها: يحبون سماع استجواب مدعي الحكمة، ففي ذلك متعة. وهو واجب فرضه الإله عليّ، كما تأكدت من النبوءات والرؤى وكل طريقة أظهرت بها القدرة الإلهية إرادتها لأحد. هذا حق يا أهل أثينا، ولو لم يكن حقًا لسهل دحضه. فلو كنت أفسد الشباب حقًا، وأفسدت بعضهم من قبل، لوجب على من كبر منهم وأدرك أنني أسأت نصحه في صباه أن يتقدم متهمًا وينتقم. وإن لم يرغبوا في الحضور، فليقل بعض أقاربهم، آباؤهم أو إخوتهم أو ذوو قرباهم، ما أصاب أسرهم من شر على يدي. هذا وقتهم، وأرى كثيرين منهم في المحكمة. فهذا كريتون، من سني ومن حيي، وهذا ابنه كريتوبولوس. وهذا ليسانياس من سفيتوس، والد أيسخينيس، وهو حاضر. وهذا أنتيفون من كيفيسوس، والد إبيغينيس. وهؤلاء إخوة عدد ممن صحبوني: نيكوستراتوس بن ثيوزوتيديس، أخو ثيودوتوس، وقد مات ثيودوتوس فلن يمنعه؛ وبارالوس بن ديمودوكوس، وكان ثياجيس أخاه؛ وأديمانتوس بن أريستون، وأخوه أفلاطون حاضر؛ وأيانتودوروس، أخو أبولودوروس، وأراه أيضًا. ويمكنني ذكر كثيرين غيرهم كان على ميليتوس أن يقدم بعضهم شهودًا في كلمته، فليقدمهم الآن إن كان قد نسي، وسأفسح له، وليقل إن كان لديه شهادة كهذه. بل العكس هو الحق، يا أهل أثينا. فكل هؤلاء

مستعدون للشهادة لصالح المفسد، مدمر ذويهم كما يسميني ميليتوس وأنيتوس؛ لا الشباب الذين أفسدتهم فقد يكون لهم في ذلك دافع، بل أقاربهم الأكبر سنًا الذين لم يفسدوا. فلماذا يؤيدونني بشهادتهم، إلا من أجل الحق والعدل، ولأنهم يعلمون أنني صادق وأن ميليتوس كاذب؟

## لن أستعطفكم

هذا، يا أهل أثينا، وما يشبهه، هو كل دفاعي تقريبًا. وبقيت كلمة. قد يغضب مني بعضكم حين يتذكر كيف لجأ، في موقف مماثل أو أقل خطرًا، إلى الرجاء والتوسل بدموع غزيرة، وكيف أحضر أبناءه إلى المحكمة في مشهد مؤثر، ومعهم جمع من أقاربه وأصدقائه؛ بينما أنا، وربما كانت حياتي في خطر، لن أفعل شيئًا من ذلك. وقد يخطر له هذا فينقلب عليّ، ويصوت غاضبًا. فإن كان بينكم مثل هذا، ولست أؤكد ذلك، فلي أن أجيبه بحق: يا صديقي، أنا إنسان، ومثل سائر الناس من لحم ودم، لا من خشب أو حجر كما يقول هوميروس. ولي أسرة، نعم، وأبناء، يا أهل أثينا، ثلاثة، أحدهم يافع، والآخران صغيران؛ ومع ذلك لن أحضر أيًا منهم إلى هنا لأطلب منكم البراءة. ولماذا؟ ليس عن عناد أو استخفاف بكم. أما هل أخاف الموت أو لا أخافه فتلك مسألة أخرى لن أتحدث عنها الآن. لكن السبب ببساطة أنني أرى هذا السلوك معيبًا لي ولكم وللدولة كلها. فمن بلغ سني، وله شهرة بالحكمة، مستحقة كانت أو لا، لا ينبغي أن يحط من قدر نفسه. فقد قرر الناس على أي حال أن سقراط يتميز بشكل ما عن غيره. وإذا فعل ذلك من يقال إنهم يفوقونكم حكمة وشجاعة وفضيلة، فما أشنع سلوكهم! لقد رأيت رجالًا ذوي شهرة يتصرفون بعد إدانتهم أغرب تصرف، كأنهم يتوهمون أنهم سيقاسون أمرًا مروعًا إذا ماتوا، وأنهم سيخلدون لو تركتموهم يعيشون. وأراهم عارًا على الدولة، ولقال أي غريب إن أبرز رجال أثينا، الذين يكرمهم الأثينيون ويولونهم القيادة، ليسوا أفضل من النساء. وأقول إن هذه الأمور لا ينبغي أن يفعلها ذوو الشهرة منا، وإذا فعلوها فلا ينبغي أن تسمحوا بها، بل عليكم أن تظهروا أنكم أميل إلى إدانة من يصنع مشهدًا باكيًا يجعل المدينة أضحوكة، لا الرجل الهادئ.

ولكن بصرف النظر عن مسألة العار، يبدو أن في استرحام القاضي، والحصول بذلك على البراءة بدلًا من إعلامه وإقناعه، أمرًا خاطئًا. فواجبه ليس أن يهب العدالة هدية، بل أن يقضي، وقد أقسم أن يحكم وفقًا للقوانين لا وفقًا لهواه. ولا ينبغي لنا ولا له أن نعتاد الحنث بالقسم، فليس في ذلك تقوى. فلا تطلبوا مني أن أفعل ما أراه معيبًا وإثمًا وخطأ، ولا سيما الآن وأنا أحاكم بتهمة عدم التقوى بناءً على اتهام ميليتوس. فلو استطعت، يا أهل أثينا، بقوة الإقناع والتوسل أن أغلب أقسامكم، لكنت أعلمكم أنه لا توجد آلهة، ولأدنت نفسي في دفاعي بعدم الإيمان بها. لكن الأمر ليس كذلك؛ فأنا أؤمن بأن هناك آلهة، وبمعنى أسمى بكثير مما يؤمن به أي من متهميّ. وإليكم وإلى الإله أكل قضيتي، لتفصلوا فيها بما هو خير لكم ولي.

*[تقضي هيئة المحلفين بإدانة سقراط.]*

## الجزء الثاني: اقتراح سقراط لعقوبته

لأسباب كثيرة، يا أهل أثينا، لست حزينًا لتصويتكم بإدانتي. لقد توقعته، ولا يدهشني إلا تقارب الأصوات؛ فقد كنت أظن أن الأغلبية ضدي ستكون أكبر كثيرًا، أما الآن فلو انتقل ثلاثون صوتًا إلى الجانب الآخر لبرئت. ولي أن أقول إنني نجوت من ميليتوس. بل أكثر من ذلك؛ فلولا معاونة أنيتوس وليكون لما حصل على خمس الأصوات الذي يشترطه القانون، ولوقعت عليه غرامة ألف درهم كما هو واضح.

وهكذا يقترح الموت عقوبة. فماذا أقترح أنا، يا أهل أثينا؟ من الواضح أن أقترح ما أستحقه. وما الذي عليّ أن أدفعه أو أناله؟ ماذا يصنع برجل لم يعرف الكسل طوال حياته، وأهمل ما يهتم به الكثيرون: المال، ومصالح الأسرة، والمناصب العسكرية، والخطابة في الجمعية، والولايات، والمؤامرات، والأحزاب؟ لقد رأيت أنني أكثر أمانة من أن أسلك هذا الطريق وأبقى حيًا، فلم أذهب حيث لا أنفعكم ولا أنفع نفسي، بل ذهبت حيث أستطيع أن أقدم لكل منكم على انفراد أعظم نفع، وسعيت إلى إقناع كل رجل منكم بأن يهتم بنفسه، ويطلب الفضيلة والحكمة قبل مصالحه الخاصة، ويهتم بالدولة ذاتها قبل مصالح الدولة، وأن يراعي هذا الترتيب في كل أفعاله. فماذا يصنع

برجل كهذا؟ لا شك أنه يستحق خيرًا، يا أهل أثينا، إن نال جزاءه، وأن يكون خيرًا يناسبه. وما الجزاء المناسب لرجل فقير يحسن إليكم ويطلب الفراغ ليعلمكم؟ لا جزاء أنسب من إعالته في البريتانيون، وهو يستحقه أكثر من المواطن الذي فاز في أولمبيا بسباق الخيل أو العربات، باثنين أو بأكثر. فأنا محتاج وهو مكتف، وهو يمنحكم مظهر السعادة وأنا أمنحكم حقيقتها. فإن كان عليّ أن أقدر العقوبة بالعدل، فأقول إن الإعالة في البريتانيون هي الجزاء العادل.

ربما ظننتم أنني أتحداكم بهذا القول، كما قلت من قبل عن الدموع والتوسل. لكن الأمر ليس كذلك. وإنما أقوله لأنني مقتنع بأنني لم أظلم أحدًا عن عمد، وإن كنت لا أستطيع إقناعكم بذلك، فلم يكن بيننا إلا حديث قصير. ولو كان في أثينا قانون، كما في مدن أخرى، يمنع الفصل في قضية عقوبتها الموت في يوم واحد، لاعتقدت أنني كنت سأقنعكم؛ لكن الوقت الآن أقصر من ذلك، ولا أستطيع أن أدحض افتراءات عظيمة في لحظة. ولما كنت مقتنعًا بأنني لم أظلم غيري، فلن أظلم نفسي. لن أقول عن نفسي إنني أستحق شرًا، ولن أقترح أي عقوبة. ولماذا أفعل؟ أخوفًا من عقوبة الموت التي يقترحها ميليتوس؟ وأنا لا أدري أخير الموت أم شر، فلماذا أقترح عقوبة هي شر مؤكد؟ أأقول السجن؟ ولماذا أعيش في السجن عبدًا لقضاة العام، للأحد عشر؟ أم تكون العقوبة غرامة وسجنًا حتى أدفعها؟ والاعتراض نفسه قائم؛ فسأبقى في السجن، إذ لا مال لي ولا أستطيع الدفع. وإن قلت النفي، وقد تكون هذه هي العقوبة التي ستقررونها، فلا بد أن يعميني حب الحياة حتى أظن أن غيركم سيحتملني، وأنتم مواطنيّ لم تحتملوا أحاديثي وكلامي، ووجدتموها ثقيلة بغيضة حتى رغبتم في الخلاص منها. كلا يا أهل أثينا، ليس هذا مرجحًا. وأي حياة سأحيا في سني، متنقلًا من مدينة إلى مدينة، في منفى دائم التغير، مطرودًا على الدوام؟ فأنا متأكد من أنني حيثما ذهبت فسيأتيني الشبان كما يأتونني هنا؛ فإن طردتهم طردني شيوخهم نزولًا على رغبتهم، وإن تركتهم يأتون طردني آباؤهم وأصدقاؤهم من أجلهم.

### الحياة التي لا تفحص

سيقول قائل: ولكن يا سقراط، ألا تستطيع أن تمسك لسانك، فتذهب إلى مدينة غريبة ولا يتعرض لك أحد؟ ويصعب عليّ كثيرًا أن أفهمكم جوابي. فإن قلت إن ذلك عصيان لأمر إلهي، ولذلك لا أستطيع السكوت، فلن تصدقوا أنني جاد. وإن قلت إن أعظم خير للإنسان هو أن يتحدث كل يوم عن الفضيلة وعن كل ما تسمعونني أفحص فيه نفسي وغيري، وإن الحياة التي لا تفحص لا تستحق أن تعاش، فستكونون أقل تصديقًا. ومع ذلك فما أقوله حق، وإن صعب عليّ إقناعكم به. ثم إنني لم أعتد أن أرى نفسي مستحقًا للعقاب. لو كان لي مال لاقترحت أن أعطيكم ما عندي دون أن يضرني ذلك. لكنكم ترون أنه لا مال لي، ولا أستطيع إلا أن أطلب منكم أن تجعلوا الغرامة بقدر طاقتي. وأظن أنني أستطيع دفع مينا واحدة، فأقترح هذه العقوبة. لكن أفلاطون وكريتون وكريتوبولوس وأبولودوروس، أصدقائي الحاضرين، يطلبون مني أن أقول ثلاثين مينا، وهم الضامنون. فلتكن إذن ثلاثين مينا، وهم ضمان كاف لكم.

*[تقضي هيئة المحلفين بإعدام سقراط.]*

## الجزء الثالث: كلمة سقراط بعد الحكم

### إلى الذين أدانوه

لن تكسبوا كثيرًا من الوقت، يا أهل أثينا، مقابل السمعة السيئة التي ستنالكم من منتقدي المدينة، إذ سيقولون إنكم قتلتم سقراط، الرجل الحكيم؛ فسيصفونني بالحكمة، وإن لم أكن حكيمًا، حين يريدون لومكم. ولو انتظرتم قليلًا لتحققت رغبتكم بمجرى الطبيعة، فأنا كما ترون متقدم في السن، غير بعيد عن الموت. وأنا أتحدث الآن إلى الذين حكموا عليّ بالموت فقط. ولدي شيء آخر أقوله لهم: تظنون أنني أدنت لنقص في الكلام، أي أنني لو رأيت ألا أترك شيئًا لم أفعله أو أقله لنلت البراءة. ليس كذلك؛ فالنقص الذي أدى إلى إدانتي لم يكن في الكلام قطعًا. لكن لم تكن لي الجرأة أو الوقاحة أو الرغبة في مخاطبتكم كما كنتم تحبون، باكيًا نائحًا مولولًا، قائلًا وفاعلًا أشياء كثيرة اعتدتم سماعها من غيري، وأراها غير لائقة بي. لقد رأيت ألا أفعل شيئًا وضيعًا أو دنيئًا ساعة

الخطر، ولست نادمًا الآن على طريقة دفاعي، وأفضل أن أموت وقد تكلمت بطريقتي على أن أتكلم بطريقتكم وأعيش. فلا في الحرب ولا في القضاء ينبغي للإنسان أن يستعمل كل وسيلة للهرب من الموت. ففي المعركة كثيرًا ما يستطيع الرجل، إن ألقى سلاحه وجثا أمام مطارديه، أن ينجو؛ وفي الأخطار الأخرى وسائل أخرى للنجاة، إن كان مستعدًا لأن يقول ويفعل أي شيء. ليست الصعوبة، يا أصدقائي، في تجنب الموت، بل في تجنب الإثم، فهو أسرع جريًا من الموت. أنا شيخ بطيء الحركة، وقد أدركني أبطأ العدّاءين؛ ومتهميّ نشطون سريعون، وقد أدركهم الأسرع، وهو الإثم. وها أنا أمضي محكومًا عليّ منكم بعقوبة الموت، ويمضون هم محكومًا عليهم من الحق بعقوبة الخسة والظلم. سأرضى بحكمي، فليرضوا بحكمهم. وأظن أن هذه الأمور مقدرة، وأراها خيرًا.

والآن، أيها الذين أدنتموني، أود أن أتنبأ لكم؛ فأنا على وشك الموت، وتلك هي الساعة التي يوهب فيها الناس قوة النبوءة. وأتنبأ لكم، يا قتلتي، بأن عقابًا أشد كثيرًا مما أنزلتموه بي سينتظركم فور موتي. لقد قتلتموني لأنكم أردتم الهرب من المتهم، وعدم تقديم حساب عن حياتكم. لكن الأمر لن يكون كما تظنون، بل على خلافه. فأقول لكم إن متهميكم سيكونون أكثر مما هم الآن، وهم متهمون كنت أكبحهم حتى اليوم؛ ولأنهم أصغر سنًا فسيكونون أقسى عليكم، وستغضبون منهم أكثر. فإن ظننتم أنكم بقتل الناس تتجنبون من يلوم حياتكم فأنتم مخطئون؛ فليس هذا سبيلًا ممكنًا ولا كريمًا للنجاة. إن أسهل السبل وأنبلها ليس سحق الآخرين، بل إصلاح أنفسكم. هذه هي النبوءة التي أنطق بها قبل رحيلي إلى القضاة الذين أدانوني.

## إلى الذين برأوه

أيها الأصدقاء الذين كنتم ستبرئونني، أود أن أتحدث معكم أيضًا عما جرى، بينما ينشغل الموظفون، وقبل أن أذهب إلى المكان الذي يجب أن أموت فيه. فابقوا قليلًا، فلا بأس أن نتحدث ما دام في الوقت متسع. أنتم أصدقائي، وأود أن أبين لكم معنى ما حدث لي. يا قضاتي، فأنتم الذين يحق لي أن أسميهم قضاة، أود أن أخبركم بأمر عجيب. لقد اعتاد الهاتف المألوف في داخلي حتى الآن أن يعارضني باستمرار، ولو في الصغائر، إذا كنت على وشك زلة أو خطأ. وها قد نزل بي ما يظن،

ويعتقد عامة الناس، أنه آخر الشرور وأسوأها. ومع ذلك لم يبد الهاتف أي علامة معارضة، لا حين غادرت بيتي صباحًا، ولا حين صعدت إلى هذه المحكمة، ولا في أثناء كلامي عند أي شيء كنت سأقوله. وكثيرًا ما استوقفني في وسط حديث، أما الآن فلم يعارضني في شيء مما قلته أو فعلته في هذا الأمر. فما تفسير ذلك؟ سأخبركم: إنني أعد هذا دليلًا على أن ما حدث لي خير، وأن من يظنون منا أن الموت شر مخطئون. وهذا دليل عظيم عندي، فلو كنت ماضيًا إلى شر لا إلى خير لعارضتني العلامة المعتادة بلا شك.

ولنتأمل بطريقة أخرى، فسنرى أن هناك سببًا عظيمًا للأمل في أن الموت خير. فهو أحد أمرين: إما حالة عدم، وفقدان تام للإدراك، وإما، كما يقول الناس، تغير وانتقال للنفس من هذا العالم إلى عالم آخر. فإن كان لا إدراك فيه، بل نوم كنوم من لا تزعجه حتى الأحلام، فالموت ربح لا يوصف. فلو اختار إنسان الليلة التي نام فيها نومًا لا تكدره الأحلام، وقارنها بسائر أيام حياته ولياليها، ثم أخبرنا كم يومًا وليلة قضى في حياته أفضل وأمتع منها، فأظن أن أي رجل، لا أقول الرجل العادي بل الملك العظيم نفسه، لن يجد منها إلا القليل. فإن كان الموت هكذا فأقول إنه ربح، فالأبد عندئذ ليس إلا ليلة واحدة. أما إذا كان الموت رحلة إلى مكان آخر، وكان هناك، كما يقول الناس، جميع الموتى، فأي خير، يا أصدقائي وقضاتي، أعظم من هذا؟ إذا وصل المسافر إلى العالم السفلي، فتخلص ممن يدعون العدالة في هذا العالم، ووجد القضاة الحقيقيين الذين يقال إنهم يقضون هناك، مينوس ورادامانثوس وأياكوس وتريبتوليموس وغيرهم من أبناء الآلهة الذين كانوا صالحين في حياتهم، فتلك رحلة تستحق العناء. وماذا لا يبذل الإنسان ليحادث أورفيوس وموسايوس وهسيود وهوميروس؟ لو صح هذا فلأمت مرة بعد مرة. وسيكون لي أنا أيضًا اهتمام عجيب بمكان أحادث فيه بالاميديس وأياس بن تيلامون وغيرهما من أبطال الماضي الذين ماتوا بحكم ظالم، ولن تكون متعتي قليلة في مقارنة ما قاسيته بما قاسوه. وفوق ذلك سأتمكن من مواصلة بحثي في المعرفة الصادقة والزائفة، هناك كما هنا، فأكتشف من الحكيم ومن يدعي الحكمة وليس حكيمًا. وماذا لا يبذل الإنسان، أيها القضاة، ليفحص قائد حملة طروادة العظيمة، أو أوديسيوس أو سيزيف، أو لا حصر

له من الرجال والنساء! أي متعة لا نهاية لها في محادثتهم وسؤالهم! فهناك لا يقتلون إنسانًا لهذا السبب قطعًا. وفضلًا عن أنهم أسعد هناك مما هم هنا، فسيكونون خالدين إن صح ما يقال.

فكونوا إذن، أيها القضاة، مطمئنين إلى الموت، واعلموا هذه الحقيقة: لا يمكن أن يصيب الرجل الصالح شر، لا في حياته ولا بعد موته. ولا تهمله الآلهة ولا تهمل ذويه. ولم تقع نهايتي القريبة مصادفة. لكنني أرى بوضوح أن الموت والخلاص كانا خيرًا لي، ولذلك لم تعطني العلامة إشارة. ولهذا أيضًا لست غاضبًا على متهميّ ولا على من أدانوني؛ فلم يلحقوا بي أذى، وإن لم يقصد أي منهم نفعي، ولهذا لي أن ألومهم برفق.

ومع ذلك لي عندهم رجاء. حين يكبر أبنائي، أطلب منكم يا أصدقائي أن تعاقبوهم، وأن تزعجوهم كما أزعجتكم، إذا بدا أنهم يهتمون بالثروة أو بأي شيء أكثر من الفضيلة، أو إذا تظاهروا بأنهم شيء وهم في الحقيقة لا شيء. عندئذ وبخوهم كما وبختكم، لعدم اهتمامهم بما يجب الاهتمام به، ولظنهم أنهم شيء وهم لا شيء. فإن فعلتم ذلك فقد نلت أنا وأبنائي العدل على أيديكم.

لقد حانت ساعة الرحيل، ونمضي في طريقينا: أنا إلى الموت، وأنتم إلى الحياة. وأيهما خير، فلا يعلمه إلا الله.

الدرس الباقي

**قد يخسر المتهم حكمه ويكسب قضيته أمام التاريخ، لكن المحامي يبقى مسؤولًا عن مصلحة موكله أولًا.**

---

المصادر

- Britannica: Apology
- النص الإنجليزي: Internet Classics Archive

## هل لديك مسألة قانونية؟ تحدث مع مؤسسة الهواري

الهاتف وواتساب: 01022731221 · الموقع: hawarylegal.com · البريد: hawarylegal@gmail.com